المؤتمرات الإسلامية.. والاستبداد

— 1 —

يشهد العالم الإسلامي في العقود الأخيرة حركة نشطة وكبيرة لعقد المؤتمرات الإسلامية الفكرية، منها المؤتمرات والندوات المحلية والإقليمية والدولية، وكلها تدرس ظواهر الانبعاث الجديد للأمة العربية والإسلامية فيما أطلق عليه أولاً الصحوة الإسلامية بحسب الأوصاف العربية والإسلامية، أو مصطلح الأصولية الإسلامية بحسب المصطلحات الغربية[1]، وهذا ما ظهر في عقد الثمانينات من القرن العشرين الميلادي الماضي، وفي تلك المرحلة استجابت بعض تيارات الحركة الإسلامية إلىٰ مواجهة العدوان الشيوعي السوفييتي الذي احتل بلداً مسلماً هو أفغانستان، فتحولت بعض فصائل الصحوة الإسلامية إلىٰ كتائب عسكرية مقاتلة، تدربت ووجدت الدعم النفسي والفكري والعسكري في بلادها وفي خارجها، في تلك المرحلة " رتبت أجهزة المخابرات الأمريكية من المساهمات ـ المحلية والعالمية ـ المعنوية والمساعدات المادية، أكثر من مائة مؤتمر لهذه الجماعات، في كل أنحاء العالم، فكانت هذه المؤتمرات هي السبب في تأسيس شبكة اتصالات عالمية لها، تضمنت أحوالاً اقتصادية ومصارف عالمية وتواصلات بشرية "[2]،

---

(1) انظر: مؤتمر الشرق الأوسط نحو عام (2000)، [اكسفورد 28مايو 1992]، مجلة السياسية الدولية العدد، (109)، بقلم يوسف أحمد الشرقاوي، يوليو 1992م، والعدد (125)، 1996م، الأصولية الإسلامية ونظرية الدومينو، كارلاكونينجهام، د. حسن عبد الله جوهر، ص 8، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة.

(2) انظر: مقالة المؤتمرات الإسلامية، للكاتب المستشار محمد سعيد عشماوي، عن موقع انترنت.

ساعدت المسلمين علىٰ إخراج الاتحاد السوفييتي من أفغانستان[1]، وانهياره بعد ذلك[2].

ـ 2 ـ

فلما جاء ترتيب البيت الأفغاني بعد الاحتلال الشيوعي دخلت الفصائل الجهادية المسلمة في صراعات داخلية وبتدخلات دولية، حتىٰ تمكن أحدها من تثبيت نفسه إمارة إسلامية تحكم بالشريعة الإسلامية، دون أن تحظىٰ بالتأييد أو الاعتراف الإقليمي الكامل ولا الإسلامي ولا الدولي، مما أوجد حالة من الدراسات الجديدة التي تبحث عن التغييرات الاجتماعية في الوطن العربي والإسلامي[3]، وفيما عرف بالإسلام السياسي[4]، وهو يعني معرفة دور الإسلام في الحياة المعاصرة، من أجل التحكم بمساره ودرجة قوته[5]، سواء دوره في كسب معارك فكرية أو سياسية أو عسكرية، فالسياسة هوية تلبست بها أغلب الحركات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي، سواء في المعارك العسكرية في فلسطين وأفغانستان والشيشان أو في غيرها، أو في محاولات كسب معارك الإصلاح الداخلي بعد حروب الاستقلال وفشل الأنظمة الوطنية والقومية المستقلة من تحقيق التقدم والازدهار في العالم العربي والإسلامي، أو من أجل إقامة الدولة الإسلامية المنقذة، والقاسم المشترك لكل المعارك كره الظالمين المحليين والدوليين وعلىٰ رأسهم الدول العظمىٰ، فكان من مهمة هذه

---

(1) انظر: مقالة ملف الإسلام والعنف في السياسة الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد (113)، يوليو 1993م.

(2) انظر: الفشل الكبير (ميلاد وموت الشيوعية في القرن العشرين)، زبيغنيو بريجنسكي، ترجمة ميشيل سلمان، مركز الكتب الأردني، 1989م.

(3) انظر: المؤتمر السنوي للجمعية السويسرية للشرق الأوسط والحضارة الإسلامية، ندوة (الإسلام والتغيير الاجتماعي)، مجلة السياسة الدولية، العدد (127)، 1997م، ص 263.

(4) انظر كتاب: الإسلام السياسي، فرانسوا بورجا، ترجمة د. لورين فوزي زكرى، مراجعة وتقديم نصر حامد أبو زيد، الطبعة العربية الأولى، 1992م، دار العالم الثالث، ص 30. ومجلة السياسة الدولية العدد (113) 1993، مقالة: حركات الإسلام السياسي ونمط جديد في التفاعلات العربية، أيمن السيد عبد الوهاب، ص 88.

(5) انظر: ندوة استراتيجية إدماج الحركات الإسلامية في التيار الديمقراطي العربي، القاهرة (20 يناير 1996م)، مجلة السياسة الدولية، العدد (125)، يوليو 1996م، ص 243.

المؤتمرات دراسة طبيعة الإسلام في العصر الحديث[1]، وموقفه أو موقف الحركات الإسلامية من الغرب[2].

— 3 —

وكان من أخطاء الإدارة الأمريكية التي عاصرت انهيار الاتحاد السوفييتي تبنيها لمفهوم صراع الحضارات[3]، الذي كان يهدف إلىٰ خلق عدو دولي بديل عن الشيوعية حتىٰ تجمع العالم الغربي علىٰ معاداته ولو ظلماً، ومن سوء تقديرها وقع اختيارها علىٰ الإسلام والمسلمين العدو الأول لها[4]، مما جعل الشعوب العربية والإسلامية تزداد تأييداً للحركات الإسلامية، وتزداد كرها لقوىٰ الظلم العالمي وفي مقدمتهم أمريكا، سواء من أجل التعبئة الإسلامية ضد الأعداء المحتلين فعلاً لأرض إسلامية مثل فلسطين، أو في عداء المؤيدين الدوليين للمحتلين ظلماً، أو المساندين للمستبدين في البلاد العربية والإسلامية، أو وقوفهم الصريح ضد المصالح العربية والإسلامية في بلادهم أو في المحافل الدولية وفي هيئة الأمم المتحدة، مما ولد حالة من العنف السياسي والمسلح في بعض الأقطار العربية والإسلامية وخارجها، فيما أطلق عليه ظاهرة العنف أو التطرف أو الإرهاب الديني[5].

---

(1) انظر: المؤتمر القومي الإسلامي الأول، بيروت (10ـ12 اكتوبر 1994م)، مجلة السياسة الدولية، العدد (119)، يناير 1995م.

(2) انظر: مقالة الإسلام والغرب، ياسر عبد الحكيم طنطاوي، مجلة السياسة الدولية العدد (130)، اكتوبر 1997م، يتحدث فيه عن مؤتمر عقد المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، في مؤتمره التاسع بالقاهرة خلال الفترة من 13 ـ 16 يوليو 1997، تحت عنوان: الإسلام والغرب: الماضي ـ الحاضر ـ المستقبل.

(3) انظر: مقالة صدام الحضارات، صموئيل ب. هانتجتون، ترجمة هنادي محمد، مجلة المنطلق، بيروت، العدد (106)، شتاء 1994م ـ 1414م، ص 175.

(4) انظر بحث: الثابت والمتغير في سياسة الولايات المتحدة الخارجية، الدكتور: منار شوربجي، مجلة السياسية الدولية، العدد (161)، القاهرة، يوليو 2005، ص 209.

(5) انظر: مؤتمر العنف السياسي والديني في مصر: الدوافع والأفاق، القاهرة (19ـ20 مايو 1998م)، بقلم، بدر حسن الشافعي ص 275، مجلة السياسة الدولية، العدد (133)، 1998م.

— 4 —

فلما وقعت أحداث 11/ سبتمر / 2001م ـ والتي اتهم بها بعض العرب المسلمين[1] ـ "توقفت المؤتمرات الإسلامية السياسية، التي كانت تنعقد في حقبة الثمانينيات، كما سكنت حركة المؤتمرات التي كانت تبحث في الظاهرة الإسلامية السياسية خلال عقد التسعينيات، وبعد مرور أكثر من عامين، بدأت صرعة المؤتمرات الإسلامية التي يبث فيها الإسلام السياسي أفكاره "[2].

وأخذت المؤتمرات التي تعقد في العواصم العربية والإسلامية تعقد وتنظم من قبل هذه المؤسسة العربية أو تلك، أو هذا المركز العربي أو الإسلامي أو ذاك، وأغلبها مؤتمرات لدراسة الظاهرة السياسية الإسلامية، وبعضها يستضاف من قبل بعض الدول العربية نفسها وعلىٰ أعلىٰ مستوىٰ رسمي فيها، وكلها تعلن عن أهدافها دون خفاء أو مواربة، وهي معالجة صورة الإسلام والمسلمين في الغرب التي استطاع الإعلام الغربي أن يشوهها أمام شعوبه في أوروبا وغيرها[3]، وأغلبها مؤتمرات أو ندوات تحاول أن تثبت أن الإسلام بريء من كل تهمة صادقة أو كاذبة، وأن رسالته المحبة والسلام والتسامح[4]، حتىٰ مع من يعتدي عليه أو يظلمه أو يحتل أرضه أو يقتل أبناءه أو ينتهك أعراضه، ولكن التوجه الفكري الغربي لم يلتفت إلىٰ هذه المؤتمرات لأنه كان يسير نحو صدام الحضارات، حتىٰ لو أدىٰ ذلك إلىٰ انتهاك الشرعية الدولية[5].

---

(1) انظر: الحرب غير المتماثلة بين الولايات المتحدة والقاعدة، محمد عبد السلام، مجلة السياسة الدولية، العدد (147)، يناير 2002م، ص 202.

(2) انظر: مقالة المؤتمرات الإسلامية، للكاتب المستشار محمد سعيد عشماوي، عن موقع انترنت.

(3) انظر: ملف قضايا الإسلام والمسلمين في أوروبا الغربية، مجلة السياسة الدولية، العدد (156)، ابريل 2004م.

(4) انظر: مؤتمر حقيقة الإسلام في عالم متغير، نظمه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر، في مؤتمره الرابع عشر (20 أيار 2002م)، مجلة الكلمة، العدد (35)، ربيع 2002م ـ 1423هـ، ص 187.

(5) انظر: مؤتمر محاربة الإرهاب ومخاطر تصفية الشرعية الدولية، القاهرة (27 مارس 2003م)، بقلم، عبد العال الديربى، ص 335، مجلة السياسة الدولية، العدد (153)، يوليو 2003م.

وكان التوجه السياسي الأمريكي يستثمر مفهوم صدام الحضارات في مخططاته السياسية والعسكرية، ويسير نحو المانوية الجديدة بتقسيم العالم إلىٰ عالم أحرار خيرين وعالم أشرار ظلاميين كما سبق بيانه في فصل "الاسترهاب الداخلي أخطر من الإرهاب الخارجي"، وتم استثمار ذلك في إذكاء الحرب لاحتلال العراق، الذي جعل في قائمة دول محور الشر من وجهة نظر أمريكية، بحجج واهية ثبت كذبها وزيفها للعالم أجمع، مما أوقع الإدارة الأمريكية في صعوبات ومتاعب مرهقة وخسائر معنوية ومادية غير متوقعة في مداها ولا في قوتها، وهو ما تحاول الإدارة الأمريكية الخروج منه، بعد أن اكتشفت شيئاً من الحقيقة، وهو أنه قد غرر بها ممن طلب منها وشجعها علىٰ احتلال العراق عسكرياً، وأنه قد غرر بها بإمكانية القضاء علىٰ الإسلام السياسي والجهادي إذا تم تجريمه في بلاده وفي العالم أجمع، ولكن الذي حصل أن التعاطف العالمي توجه إلىٰ تأييد المجاهدين ضد الظلم، وبالأخص تزايد تأييد الإسلام السياسي والجهادي في التعبئة المقاومة لأمريكا وهيمنتها الدولية[1].

— 5 —

هذه الأوضاع أثرت علىٰ الإدارة الأمريكية في تغيير موقفها من الإسلام السياسي، بل وطلب محاورته والتفاهم معه، وتوجيهه في تحقيق عالم إسلامي حر وديمقراطي ومتعاون مع القوىٰ العالمية الحرة، مما استدعىٰ تغيير وظيفة المؤتمرات الدولية ـ الإسلامية ـ في مسارها وخطتها، من صدام الحضارات إلىٰ لقاء الحضارات، ومن تفسير الإسلام المتشدد إلىٰ الإسلام المتسامح والديمقراطي والمحب للعدل والسلام.

هذه الصورة المختصرة لطبيعة هذه المؤتمرات تبين أنها في أغلبها لم تكن حرة في إرادتها ولا في توجهاتها الفكرية، وأنها لم تكن ذاتية في مقاصدها ولا في أهدافها ولا في وسائلها ولا في مناهجها، أي أنها كانت في كل مرحلة تخدم غاية معينة وتقوم بوظيفة مرسومة، وأنها

---

(1) انظر كتاب: الاختيار (السيطرة على العالم أم قيادة العالم)، تأليف زبيغنيو بريجنسكي، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2004م، ص 22.

في الغالب كانت مؤتمرات تحرص على إظهار العنوان الإسلامي أو الصفة الإسلامية بغض النظر عن الداعي الحقيقي لها، سواء كانت مؤسسات غربية بصورة مباشرة أو من وراء ستار، أو بتكليف منها لبعض المفكرين المشهورين من أبناء العرب والمسلمين.

— 6 —

لا شك أن العرب والمسلمين في أمس الحاجة إلى مؤتمرات عقلية وفكرية وعلمية تدرس مشاكلهم وأزماتهم وتبحث عن الحلول الناجحة والناجعة لهم، ولكنها لن تكون كذلك حتى تنبثق عن إرادة حرة لأبناء هذه الأمة في إحداث التغيير على أساس ما يعتقدونه من تصورات، وعلى أساس ما يخططون له بإرادتهم وما يختارونه من وسائل ومناهج، وفي مقدمة ذلك إرادة التغيير الداخلي الذاتي.

أما المؤتمرات الأجنبية فهي عاجزة عن تحقيق شيء لأحد، لا للعرب ولا للمسلمين ولا للغرب نفسه، لأنها غير ديمقراطية ولا شورية أولاً، فلم تنتخب القوى الممثلة فيها بإرادة جماهير المسلمين، وهي مؤتمرات غير حرة في قراراتها ثانياً، لأنها تأتي للمؤتمر وقد سبقتها القرارات المطلوب اتخاذها، وهي غير ناجعة ثالثاً، لأن القرارات التي تتخذ فيها غير صحيحة ولا صادقة في الغالب، ولكن أخطر ما في كل ذلك أنها تريد أن تفرض وجهة نظر معينة على كافة المسلمين دون مشورة منهم وبطرق تراثية واستبدادية، وحجتها دعوى الاعتدال أو الوسطية أو التقارب بين المسلمين، أو بحجة دعوتها إلى المذهبية التراثية المغلقة التي استقرت في التاريخ والماضي، ويراد لها أن تبقى مستقرة في الحاضر خدمة للظروف الحالية، بعد أن كاد العالم الإسلامي أن يتحرر منها، بما تجدد فيه من مدارس فكرية وجامعات علمية وكليات شرعية وحركات فكرية وإنسانية وفلسفية واجتماعية.

ـ 7 ـ

لقد سعت بعض المؤتمرات الإسلامية إلىٰ الدعوة إلىٰ إحياء وتفعيل الاجتهاد الجماعي[1]، وبعضها تعمل إلىٰ التقارب بين المذاهب الإسلامية[2]، وبالأخص بين السنة والشيعة، فجرىٰ مرة تسمية المذاهب الإسلامية المعترف بها بأنها خمسة مذاهب، لإدخال المذهب الجعفري الشيعي إلىٰ المذاهب السنية الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، ثم قيل المذاهب الإسلامية الستة مع المذهب الظاهري، ثم المذاهب الإسلامية السبعة مع المذهب الزيدي، ثم المذاهب الإسلامية الثمانية مع المذهب الأباضي، وهكذا إلىٰ عدد لا يعلم أين يقف ومتىٰ ينتهي، ظناً من الدعاة أن الاعتراف بهذه المذاهب التاريخية يحقن دماء المسلمين إذا اجتمع بعضها في بلد واحد مثل العراق أو الهند أو الباكستان أو غيرها، متناسية أن التمذهب نفسه لم يكن سبب التقاتل والتناحر بين المسلمين لا في الماضي ولا في الحاضر، وإنما توظيفه من قبل القوىٰ السياسية المنتفعة من هذا التناحر، وحتىٰ لو كان الأمر كذلك فإنه لا يتم العمل علىٰ تثبيت التمذهب المغلق علاجاً لهذا التناحر، في عصر أحوج ما يكون فيه المسلمون إلىٰ التفكير الإسلامي العلمي والحر، والاجتهاد الإسلامي الجديد، مع الدعوة إلىٰ شرعية الاختلاف بين المذاهب الإسلامية التراثية والمعاصرة، هذا ما ينبغي علىٰ المسلمين العمل له والتعاون عليه.

أما الظن بان اعتراف المذاهب الإسلامية بعضها ببعض وحصر منهجية الإفتاء علىٰ أصول منهجية مذهبية مقيدة يحول دون تكفير أو تفسيق أو تجريح المذاهب لبعضها بعضاً، وهو بالتالي يمنع التقاتل بينها وسفك الدماء بين أتباعها، فهذا ظن مخالف للحقيقة التاريخية والواقع، إذ التمسك بالمذهبية التاريخية المغلقة كان ولا يزال يعني نفي المذهب الإسلامي

---

(1) انظر: ندوة (الشريعة الإسلامية وقضايا المجتمع المعاصر)، نظمتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وبالتنسيق مع دار الحديث الحسنية، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرباط (29ـ 31 تشرين أول 2001م)، مجلة الكلمة العدد (33)، خريف 2001م ـ 1422هـ، ص 194.

(2) انظر: مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية، عقد بدعوة من وزارة الأوقاف البحرينية، (20ـ 22 أيلول 2003م) مجلة الكلمة، العدد (40) صيف 2003م ـ 1424هـ ص 196.

الآخر، نفياً نفسياً وفكرياً واجتماعياً وجغرافياً وسياسياً، وهو ما عرف في الثقافة الإسلامية بالتعصب أو العصبية الجاهلية المقيتة، وهو ما يعبر عنه في العصر الحديث بالنفي الأيديولوجي، لأنه تأسس علىٰ الموقف العدائي التاريخي، والأيديولوجيا تقوم وتؤول إلىٰ التعصب حتماً، ومن الممكن في أي لحظة في المستقبل أن توظف في اقتتال مهلك بين أتباعها.

ـ 8 ـ

إن من النصيحة الواجبة: أن يعاد النظر مرة أخرىٰ بالدعوة إلىٰ التمسك بالمذاهب التاريخية المغلقة أو الدعوة إلىٰ التقييد بالمنهجية المذهبية في الإفتاء أو الاجتهاد المذهبي، لأنه لا حقيقة لما يسمىٰ بالاجتهاد المذهبي، لأنه مقيد بأفكار مذهبه التاريخية وموقفها من المذاهب الأخرىٰ، وإذا كان لا بد من الاعتراف بالواقع المذهبي فيجب أن يكون من غير نفي للقراءة العلمية الإسلامية الحرة، أي من غير رفض الاجتهاد الإسلامي الحر، الذي لا ينتمي إلىٰ مذهب فقهي تاريخي، بل المطلوب هو تشجيع الاجتهاد الإسلامي المفتوح علىٰ معارف العصر وعلومه، وغير المقيد بمذهب تاريخي قديم ولا بمنهجية تراثية ماضية، الأمم الحية والحرة تتقدم إلىٰ الأمام بفكرها وعلمها واجتهادها، ولا تتمسك بتراثها إلَّا بإرادتها واجتهادها أيضاً.

إن الاعتراف بالتراث الفكري أمر مرغوب ومطلوب وحقيقة واقعة، ولكن توظيفه في الحاضر بصورة إيجابية وصحيحة هو المطلوب أيضاً، وذلك بالدعوة إلىٰ شرعية الاختلاف بين المسلمين، وقبول التعددية الفكرية في المدارس الفقهية والعقدية والسياسية التراثية والمعاصرة، في الاجتهاد والشورىٰ والدولة، والإقرار بحق المسلمين جميعاً في تقرير مصير أمتهم، كل بما يمثله من قوة فكرية واجتهادية علىٰ أرض الواقع، وعدم التمسك بالأسباب التاريخية للصراع بين المسلمين في الماضي، ودون عداء ولا اقتتال في الحاضر، طالما أن الإسلام أقر شرعية الاختلاف في تفسير الإسلام وفي تنوع الاجتهادات بين المسلمين[1].

---

(1) انظر: شرعية الاختلاف بين المسلمين (إسلام واحد وتعددية فقهية وعقدية وسياسية في الاجتهاد والشورى والدولة)، عمران سميح نزال.

ـ 9 ـ

إن المؤتمرات الإسلامية المحلية أو الإقليمية أو الدولية مطالبة أن تفكر بقضاياها الحقيقية في المشاكل والحلول، والأمم التي لا تفكر بذاتها ولذاتها عاجزة عن اكتشاف الحقائق بنفسها، ولذا فهي إذا ما اجتمعت علىٰ ولائم غير عقلية ولا علمية لا تصف الحقائق إطلاقاً، لا وهي تصف الحركات الإسلامية الجهادية بالتطرف والعنف والعدوان، ولا وهي تصف الدين بالمسالم والمتسامح ولا وهي تصفه بالخانع والذليل ولا غيرها، لأن كل هذه الأوصاف لم تصدر عن تفكير علمي قويم ولا عن اجتهاد إسلامي حر.

لا يشفع لهذه المؤتمرات ومن يحضرها عدد من يحضرها من العلماء المسلمين، ولا مكانتهم العلمية ولا الرسمية ولا الشهرة التي يتمتعون بها، ولا عدد المفكرين المشهورين ولا مؤلفاتهم ولا تاريخهم الحافل بالمواقف السابقة، ولا يشفع لها ما يحشد لها من توقيعات كثيرة ولو بلغت المئات أو الألوف، طالما أن هذه التوقيعات غير صادقة في تمثيلها إلَّا لنفسها، فهي توقيعات لم ينتخب أصحابها من قبل المسلمين انتخاباً حراً، فهي إما توقيعات مستبدة لأنها تنفرد برأيها دون انتخاب من أمتها، أو مستبد بها إذا دعيت إلىٰ ولائم وبرامج معدة مسبقاً وتوصف بالمؤتمرات الإسلامية.

ولا يشفع لها ـ إن لم يكن نقمة عليها ـ ما يصرف عليها من أموال أو ما يوظف لها من إعلام، فمن المعلوم أن ما " ساعد علىٰ العمل لانعقاد هذه المؤتمرات أن منظمي بعضها، إن لم يكن جلها، يستفيدون مالياً استفادة كبيرة، فيستبقون لأنفسهم أموالاً طائلة مما جمعوه من تبرعات الهيئات والشركات والمؤسسات، خاصة إذا استخدموا في المؤتمر اسماً أو أكثر من الأسماء المرموقة دولياً والمحترمة علمياً. أما اصطناع ميزانية صورية فهو أمر تمرس عليه الكثيرون"[1].

(1) انظر: مقالة المؤتمرات الإسلامية، للكاتب المستشار محمد سعيد عشماوي، عن موقع انترنت.

إن علماء المسلمين من أكثر الناس معرفة أن الإسلام لا ولن يخضع لمؤتمرات تجمده في قوالب مغلقة وضيقة باسم المذاهب الإسلامية التاريخية، وانه لا ولن يخضع لمن يوصفون بالعلماء إذا أريد منهم صناعة مرجعية روحية كنسية تأخذ علىٰ عاتقها الزعامة الروحية دون الزمنية، كما هو الحال في المجامع الكنسية عند أهل الملل الأخرىٰ، التي أعطت لقيصر كل شيء دون أن تعطي للحق شيئاً، فهذا لا يخفىٰ علىٰ علماء المسلمين الواعين، مذكرين بما أدركه مسلم أوروبي هو روجيه جارودي الذي يقول عن الإسلام: إن ديناً كهذا لا يمكن أن يكون عقيدة روحية فحسب كما هو الحال في أديان ومذاهب أخرىٰ.. لا يمكن أن يقف عند الحدود الشعائرية فلا يتعداها.. إنه محاولة لتغيير العالم، وذلك لن يكون إلّا بتوحيد اثنين في العقيدة: الروح والمادة.. الدين والحياة.. الشعائر والممارسات.. النزوع إلىٰ الجنة وإعادة صياغة العالم بما يجعله الطريق إلىٰ الجنة[1].

(1) انظر: الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ ـ 1997م، ص 12، والعزو فيه إلى كتاب: وعود الإسلام، لروجيه جارودي، ص 59.

الطريق إلى المستقبل الإسلامي
القراءة العلمية الحرة والعبادة العلمية والاجتهاد وإطلاق الشورات العلمية الأساسية

الخطوة الأولىٰ أمام كل إنسان هي اكتشافه لنفسه، ما هو ؟ ولماذا يوجد في هذا العالم ؟ وماذا يريد منه؟ وماذا يراد منه؟ وما هو الهدف الأفضل الذي يسعىٰ له طالما بقي حياً وقبل أن يموت ؟ وإذا مات فما هو مآله، وما هي آخرته؟

— 1 —

مفاهيم الوجود ومكانة الإنسان فيها

أما اكتشافه لنفسه فهو كائن حي قارئ، واكتشافه لنفسه كقارئ يكشف عن قواه المعرفية والعقلية والفكرية والبيانية والعلمية، فلا يتوقف فيه التفكير عن زيادة عقله، وعلمه يتطلب منه اكتشاف العالم علىٰ حقيقته، حتىٰ يتفرغ إلىٰ عمل ما هو أفضل له كإنسان وللعالم أجمع، وبيانه يتطلب تدوين كل معرفة وعلم يتوصل إليها بنفسه، أو مشاركة مع أخيه الإنسان، إذا اجتمعت إرادتهما علىٰ صناعة مجتمع إنساني مدني.

فالمجتمع الإنساني المدني يقوم علىٰ قوىٰ أفراده، وقوىٰ أفراده هي حصيلة مجموع قواهم إذا كانوا أحراراً في التعبير عن إرادتهم الخاصة، فالحرية هي الضمانة الوحيدة لصنع مجتمع إنساني مدني، وإلَّا تحول المجتمع الإنساني المدني إلىٰ إنسان واحد مكبَّر أو متكبِّر، وكلاهما بمعنىٰ واحد فالمتكبر يعطي نفسه أكبر من حقه وحجمه العقلي والفكري والعلمي، والمكبر هو الذي ينظر إليه الناس علىٰ أنه أكبر منه، وفي كلاهما ظلم للإنسان وللمجتمع الإنساني

المدني، فلا يوجد إنسان أكبر من إنسان، ولا يجوز أن ينظر إلىٰ إنسان أنه مكبر إطلاقاً، وإذا وجد تفاضل بين الناس فإنما بقدر ما ينفع أحدهم نفسه ومجتمعه المدني أكثر من غيره، وبقدر ما يعمل ما هو الأصلح لنفسه وللمجتمع المشارك فيه وللعالم، ولكن بإرادته واختيارهم.

إذاً الرؤىٰ التي تحرك الإنسان هي نظرته لنفسه وكيف يعمل الصالح والأحسن لنفسه، ونظرته لمجتمعه وكيف يشارك فيه وكيف يغيره نحو الأفضل دائماً، ونظرته للعالم وأفكاره عنه وكيف يعمل له ليسير نحو الأحسن ويكون تغييره نحو الأفضل لكل سكانه من إنس وحيوان ونبات، وسماء وأرض وماء، وكيف يزيل العقبات من أمامه ومن أمام الناس التي تحول دون رؤيتهم الصحيحة للعالم كله.

— 2 —

مفهوم الإسلام عن الإنسان وحريته

وعندما تتوجه العناية الربانية نحو الإنسان والناس، فإنما لتساعد الإنسان علىٰ الوصول إلىٰ الأجوبة الصحيحة من مصدر موثوق حتىٰ لا يضيع كل جيل إنساني وهو يبحث بنفسه عن الأجوبة الصحيحة، وحتىٰ تتوجه الأعمال الإنسانية نحو الأحسن والأفضل والأصلح بعلم وعمل.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء17/ 70]، وقال تبارك وتعالىٰ عن خلق الإنسان: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين95/ 4].

فدور الدين الحق هو إعطاء الأجوبة الكلية عن العالم والوجود والطبيعة وعلاقة الإنسان بها، علىٰ أساس أنها كلها مخلوقة من الله تعالىٰ، وأنه خلقها بقدر أي بقوانين ثابتة، ومسخرة للإنسان حتىٰ ينتفع بقوانينها، وليس ليخاف منها أو يضل فيعبدها وهي مخلوقة مثله، حتىٰ لو لم يعلم الإنسان كل قوانينها وكيف سخرها الله له علىٰ أكمل وجه وأتم حال:

فقال تعالىٰ في سورة لقمان المكية: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [31/ 20]، فالحمد لله الذي سخر للناس ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليهم نعمه، فالحمد لله الذي علم الإنسان كيف ينتفع بها وسهل عيشه بها، وعلمه كيف يستعملها في تطوير حياته نحو الأحسن والأفضل، ودون اعتداء الإنسان علىٰ أخيه الإنسان ودون اعتداء الناس علىٰ بعضهم بعضاً.

— 3 —

مفهوم الوحدة الإنسانية في الإسلام

وقد أخبر الله الناس أنهم جميعاً من نفس واحدة وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وجعل التفاضل بينهم بالتقوىٰ، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات 49/ 13].

وجعل أمر التقوىٰ مبدوءاً به في الصفة الإنسانية فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء 4/ 1]، ثم متبوعاً به بالصفة الإيمانية فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر 59/ 18-19].

— 4 —

شرعية الاختلاف الطبيعي والمكتسب بين الناس

وجعل الله تبارك وتعالىٰ من سنن الخلق الاختلاف في الألسن والألوان والأقوام بعد أن خلقهم من نفس واحدة: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى

ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم30/ 20-22]، وجعل سنة الاختلاف في الأمم سبباً للرحمة بهم: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود11/ 118-119].

— 5 —

ضرورة الأنبياء والرسل للتعليم والحكم بين الناس

ومن رحمته تبارك وتعالىٰ أن جعل من وظيفة الرسل رفع الاختلاف بين الناس فقال: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة2/ 213]، وقال: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل16/ 63-64].

— 6 —

مفهوم التمكين المجتمعي في الأرض

إن التجمعات البشرية التي تجمعت علىٰ أشخاص مكبرين من غيرهم أو مستكبرين بأنفسهم، وصنعوا لأنفسهم سلطة علىٰ الناس بغير حق، وتحولت مجتمعاتهم إلىٰ صور متكررة عن أولئك الظلمة الأشرار، فإنها تتصارع وهي مجتمعات بشرية، كما لو كانت أفراداً وليست معبرة عن إرادة جماعية إنسانية، وهذا ما يتطلب أن يوجد الإنسان الصالح المصطفىٰ والمرسل من الله حتىٰ يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وإذا ما وجد له أتباع وأوجدوا بإرادتهم

وجهودهم المجتمع المدني الحر، فإن ما كان للنبي من مسؤوليات في هداية الناس نحو الحق والصراط المستقيم، تتحول إليهم ليكونوا شهداء علىٰ الناس كما كان الرسول عليهم شهيداً.

قال تبارك وتعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف7/ 10]، وجعلهم في الأرض خلائف، يخلف بعضهم بعضاً ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليبلوهم في ما آتاهم فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام6/ 165]، وجعلنا من بعدهم مستخلفين في الأرض لينظر كيف نعمل فقال: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس10/ 13-14].

— 7 —

التفريق بين مراحل التربية والتكليف علمياً وعملياً

تحتاج الفترة الزمنية الأولىٰ من عمر الإنسان وهو طفل إلىٰ عملية تربية وتعليم، والطفل مهما بلغ عمره فهو كائن قارئ، أي إنسان متعلم وفيه قابلية التعلم، ومهما يكن عمره فإن عقله يتناسب مع ما تم تعليمه وما تعلمه بنفسه من مصادر التعليم الأولىٰ وهي الأسرة الصغيرة من الوالدين والأخوة ومن يسكن معهم في بيته، ومن ثم من الأسرة الكبيرة وهي أقاربه في السكن والأجداد والأعمام والأخوال وأبنائهم ومن في مقامهم، ثم من المدرسة وبالأخص من الأطفال الذين يقاربونه في العمر.

في هذه المرحلة الأولية لا بد أن يتم التركيز علىٰ أن الطفل موضع تعلم، وأن ما فيه من عقل أي ما فيه من بنية معان ومعارف وإدراكات لا يكفي ليعتمد الطفل علىٰ نفسه كلياً؛ لأن العملية العقلية تحتاج إلىٰ العلم الأسري والمعلم المدرسي، والمعلم المجتمعي، وقد تحددت مرحلة الطفولة في معظم الدساتير العالمية بسن الثامن عشر من عمر الإنسان، فإذا ما انتهت

هذه المرحلة أو قاربتها فإن ما يجب عمله هو تربية الإنسان ليعتمد علىٰ نفسه عقلياً وفكرياً، وإذا ما تم تعليمه أمراً ما فيجب أن يعتمد علىٰ قبوله العقلي له، واختياره لما يصدق به ويعتقده إيماناً أو ثقافة أو دراسة أو وظيفة أو غيرها.

وهذا الأمر لا يتوقف علىٰ التعليم المدرسي وإنما علىٰ التعليم الديني أيضاً، فلا يجوز أن يبقىٰ الإنسان المسلم تجاه الدين متلقياً فقط مهما طال عمره ومهما بلغ علمه، بل لا بد أن يحدد عمراً معيناً يصل فيه إلىٰ المستوىٰ الذي يتعامل به مع الدين بإرادته واختياره، ويرفض بعده أي وصاية عليه لا يوجبها الشرع والعقل.

ـ 8 ـ

محاربة الرق المعرفي والفكري

بين القرآن الكريم للناس كافة أنهم مخلوقات مميزة عن غيرها بالمعرفة والعلم والقراءة، وحث عليها، وشرط أن تكون العلاقات بين الأبناء والآباء محكومة للعلم، ونهىٰ عن التراثية والمذهبية المغلقة، وقد تبين فيما سبق أن العمل الحزبي تأثر بالعمل الفكري المغلق، الذي هو في الحقيقة فكر مستبد، وأن هذه العدوىٰ التي لم تسلم منها الأحزاب المعاصرة، أصبحت عقبة حقيقية داخل الحزب الواحد وبين أعضائه، حتىٰ كاد العمل الحزبي أن يصبح رقاً معرفياً وفكرياً جديداً يصعب الخلاص منه.

ـ 9 ـ

شرعية الاختلاف الفكري بين المسلمين

يحتاج المسلمون اليوم إلىٰ شرعية الاختلاف بينهم، طالما تعددت مشاريع استئناف الحياة الإسلامية التي ينشدها الجميع، فهناك مشروع استئناف الحياة الإسلامية السلفية الأثرية، من المدرسة الحنبلية، والمدرسة التيمية، والمدرسة الوهابية، وهناك مشروع استئناف الحياة الإسلامية السلفية العقلية الكلامية، من المدرسة الشيعية، والمدرسة المعتزلية، والمدرسة الأشعرية، ومشروع استئناف الحياة الإسلامية السلفية الفلسفية، من المدرسة الرشدية، والمدرسة الخلدونية، ومشروع

استئناف الحياة الإسلامية السلفية الصوفية العرفانية، من المدارس الصوفية الكثيرة، ومشروع استئناف الحياة الإسلامية السلفية السياسية، كما بدأت بالخلافة الراشدة وانتهت بالخلافة العثمانية.

هذه المشاريع الكثيرة وغيرها موجودة في ساحة العمل الإسلامي، تحتاج إلىٰ عقلية جديدة في شرعية الاختلاف بينها، وعدم حصر شروط النهضة بيد مشروع واحد منها، وإنما أن يتشاركوا جميعاً في المشروع النهضوي العام، كل واحد منها في مجال عمله دون استبداد من أحدها.

ـ 10 ـ

منهج القرآن في استئناف الشورىٰ المكية والشورىٰ المدنية

منهج القرآن الكريم في العمل يقوم علىٰ العبادة العلمية الفردية أولاً والعمل الفردي ثانياً، والعبادة العلمية الجماعية ثالثاً، والعبادة العملية والجماعية رابعاً، هذه المنهجية: والتحقق من توفرها، كفيل بتكوين الشخصية الإسلامية للمسلم والمؤمن وهو فرد واحد، وكفيلة أن تكون شخصية "الذين آمنوا" الإسلامية، شريطة العمل بشرعية الاختلاف بين المسلمين فردياً وجماعياً، أي في الشورات الخاصة أو تكوين مجالس الشورىٰ الإسلامية العامة.

وكلمة الشورىٰ كلمة قرآنية، مكية ومدنية، قال تعالىٰ في سورة الشورىٰ المكية: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [42/ 36-38].

دلت هذه الآيات الكريمة علىٰ أن الشورىٰ: حوار بين بين المؤمنين في الأمر العام، أي كلمة الشورىٰ حوار جماعي، فقال الله تعالىٰ (للذين آمنوا).

ـ 11 ـ

الشورات المكية شورات فردية وخاصة

إن وجود كلمة الشورىٰ في السورة المكية دليل علىٰ أنها واجب علىٰ المسلمين وإن لم يكن

لهم دولة ولا مجتمع مدني يضم جماعتهم، وأن لها دوراً شرعياً تقوم به في مرحلة الاستضعاف التي كان يعيشها الرسول عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين في مكة قبل الهجرة، وأهم ما يمكن أن يكون لها من أدوار هو الاتصال الدائم بين المؤمنين، فيما بينهم من قضايا مشتركة، سواء في البناء المطلوب أو في مواجهة التحديات، فهي رابطة حرة بين الأفراد الذين اتخذوا الإسلام ديناً لهم، واتخذا القرآن الكريم كتاب هداية ومنهج حياة.

— 12 —

الشورات المدنية شورات جماعية وعامة

فإذا وجد المجتمع المدني، الذي يتولىٰ أمره جهاز أولي الأمر الشرعيين، تكون القوىٰ التي أوجدته قد تعلمت الشورىٰ وهي في مرحلة الاستضعاف، وهي مأمورة بمواصلة طريقة الشورىٰ في العلم والعمل الجماعي، عملاً بالآية المدنية التي نزلت في حياة النبي عليه الصلاة والسلام، وهي من سورة آل عمران المدنية: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [3/ 159].

دلت هذه الآية الكريمة أن الشورىٰ جزء من منهجية الحكم واتخاذ القرار في المجتمع المدني الإسلامي، ولما كان الرسول عليه الصلاة والسلام هو الحاكم في الدولة المدنية الإسلامية، جاء الأمر إليه فيما هو من صلاحيات الحكم أن يشارك المؤمنين معه في اتخاذ القرار السياسي، لما فيه من مصلحة للمؤمنين المشاركين له في أمور الدولة والجماعة، فلم يستثن المولىٰ عز وجل الحاكم من المشاورة والشورىٰ لمن يحكم ولو كان نبياً، أي أن الشورىٰ حوار بين الجماعة نفسها في الحالة المكية، وجزء من المشاركة السياسية من الجهة الحاكمة في الحالة المدنية، فهي منهج عمل في حالة الاستضعاف أولاً ثم هي منهج حكم وسياسة في حالة التمكين ثانياً.

— 13 —

الشورىٰ أساس الوحدة الدينية

ولذا لا بد للمسلمين والمؤمنين أفراداً أو جماعات أو حزباً أو مذهباً أو طريقة صوفية أو دولة أن توظف آيات الشورىٰ، في المرحلة المكية والمدنية. وفي تحديد مهمات الشورىٰ العلمية في الوسائل إذا كانت في المرحلة المكية: بأن تفهم القرآن والإسلام معرفياً وعلمياً، وأن تشخص التاريخ والأمراض لمعرفة كيف وصل المسلمون إلىٰ الحالة الراهنة، وليس لمحاسبة الماضي ولا محاكمة أهله، وأن تبحث عن نقاط الالتقاء بين المسلمين والمؤمنين، وعن مواطن القوة، وأن تتدارس إمكانيات الدفاع عن النفس أمام الهجمات الداخلية والخارجية، حتىٰ في حالة الاستضعاف، وأن تخطط للمستقبل، للأبناء والأحفاد حتىٰ يكونوا في حالة أفضل، دون أن يرثوا عوامل الفرقة والتنازع الفقهي والعقدي والفكري دون مبرر وبعد زوال أسبابه التاريخية.

إن المسلمين اليوم في حالة استضعاف في الأرض، ومنهج العبادة العلمية إن لم يكن قادراً علىٰ توظيف الشورىٰ السياسية المدنية، فهو قادر علىٰ توظيف الشورىٰ المكية حتىٰ الوصول إلىٰ الشورىٰ المدنية، لأن العودة إلىٰ الشورىٰ المدنية قبل الشورىٰ المكية عكس للمسار الصحيح، والسعي إلىٰ الشورىٰ السياسية قبل الشورىٰ العلمية عكس للفكر الصحيح، فلا يستعجلن أحد الشورىٰ المدنية قبل الشورىٰ المكية، ولا الشورىٰ السياسية قبل الشورىٰ العلمية.

— 14 —

خطوات الشورىٰ القويمة

شروط الشورىٰ المكية والعلمية ضرورية لنجاح الشورىٰ السياسية والشورىٰ المدنية، ولذا من المهم التفكير في وسائل استئناف الشورىٰ العلمية المكية أولاً، والطريقة المقترحة لعودة الشورىٰ المكية العلمية هي:

1 ـ قناعة الإنسان أولاً بمكانته المعرفية والعلمية، وحقه في القراءة العلمية الحرة مثل حقه في الطعام والشراب والعيش.

2 ـ فإذا كان الإنسان مسلماً تزداد قناعته بإنسانيته بمفهوم الاستخلاف في الأرض، وحقه في القراءة الإسلامية بالعقل القرآني الفعال، بنفسه أولاً ثم مع غيره من المسلمين من غير استبداد لأحدهما علىٰ الآخر.

3 ـ التدرب علىٰ مشاورة نفسه، بأن يسمع نفسه أكثر من رأي في المسألة الفكرية الواحدة، وينظر باحترام لكل الآراء الأخرىٰ، حتىٰ يصل بعقله الفعال إلىٰ الرأي الراجح عنده.

4 ـ أن يصبر نفسه علىٰ سماع أقوال المسلمين الآخرين، مباشرة وينظر بأدلتهم باحترام وتقدير، سواء وافقت رأيه أو خالفته، حتىٰ يتبين معقولية رأيها، وكأنه مكانها وينطق باسمها، ويتشاور معها في صحة رأيه ورأيها.

5 ـ أن يشترك المسلم في شورة صغرىٰ، لأن الشورة الصغرىٰ الخطوة العملية الأولىٰ إلىٰ الشورىٰ الحقيقية، كما تبين ذلك من كلام أهل اللغة سابقاً، من أن معنىٰ الشور إبداء شيء وإظهاره وعرضه في المعنىٰ الأول، وهو أخذ شيء في المعنىٰ الثاني، ومنه: شاورت فلاناً في أمري، قال وهو مشتق من شَوْر العسل، فكأن المستشير يأخذ الرأي من غيره[1].

فإذا كان أصل الشورىٰ في اللغة هو من الشور وهو استخراج العسل، فإن استخراج الرأي الأحسن من بين الآراء والاجتهادات الإسلامية هو المطلوب دائماً، وأن الشورىٰ الإسلامية لا تتوقف علىٰ صورة واحدة، بل من الممكن البدء بالشورة، وهي الموضع الذي يجمع مسلمَيْن اثنين فأكثر، بقصد استخراج الرأي الأحسن في العبادة العلمية معاً، فالخطوة الأولىٰ العملية لعودة الشورىٰ الإسلامية فعلاً، هي إطلاق الشورات الإسلامية الصغرىٰ أولاً، ثم الشورات الوسطىٰ إن أمكن، حتىٰ تنتهي بالشورات الكبرىٰ، شريطة خلوها من الاستبداد المذهبي والحزبي.

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، 542، الطبعة 2/ 1998م، دار الفكر، بيروت.

–15 –

الطريق إلىٰ المستقبل

الطريق إلىٰ المستقبل هو إنشاء الشورات الأساسية في كل مكان يوجد فيه مسلمون في الأرض بحرية، والمقصود بالشورات الأساسية مجالس العلم وحلقاتها التي تتشكل بإرادة المشارك بها بحرية ودون إكراه ودون استبداد، أي دون انفراد أحدهما بالعطاء والآخر في الأخذ الفكري فقط، وأقلها بين مسلمين اثنين يتدارسان الإسلام وفهمه والاجتهاد فيه معاً، يصنعان بينهما شورة، وليس من واحد منها فقط، هذه الجلسة العلمية هي تدريب مطلوب بين المسلمين اليوم، بغض النظر إن كانت بين مسلمين من مدرسة عقدية وفقهية واحدة أو من غيرها، أو من مذهب أو حزب إسلامي واحد أو أكثر، وتبقىٰ هذه الشورات مكية وعلمية حتىٰ يحين يوم تداول الأيام بين الناس، فإذا ما حانت كانت الشورات الأساسية هي القادرة علىٰ العمل العلمي الجماعي والمدني الصالح.

ولا بأس أن تبدأ الشورات الصغرىٰ بين أتباع المدرسة التاريخية الواحدة مثل المدارس السنية مثلاً، ثم بين أتباع المدارس الفكرية العقدية والفقهية الإسلامية الأخرىٰ مثل السنة والشيعة، أو بين أعضاء الأحزاب الإسلامية المعاصرة، ولا بأس أن تبدأ شورة أولىٰ ثم شورات كثيرة، بين مسلمين اثنين فقط إما من المدرسة التراثية نفسها أو من غيرها، والتساؤل إن كان من الصواب أن يقرر مصيرهما الفكري النسل البيولوجي لآبائهما وأجدادهما إلىٰ الأبد، فلا عذر في الغالب لكثير من المسلمين في الاختلاف والتنازع مع المسلمين الآخرين إلَّا أن كرموسومات الآباء والأمهات (الفكرية) هي الفيصل في الهوية الفكرية والتصنيف العقدي والفقهي والانتماء التاريخي، وهذا ما لا يجوز شرعاً ولا عقلاً، والله غالب علىٰ أمره، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- الإبسمولوجيا البديل، محاولة في فقه العلم ومراسه، الدكتور: أبو يعرب المرزوقي، الدار التونسية للنشر، 1985م.
- اجتهاد نبي الإسلام محمد بن عبدالله عليه السلام، عبدالجليل عيسىٰ أبو النصر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1368هـ 1949م.
- أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، الدكتور فهمي جدعان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1979م.
- الإسلام شريكاً، دراسات عن الإسلام والمسلمين، تأليف: فريتس شتيبات، ترجمة الدكتور عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (320)، صفر 1425هـ إبريل 2004م.
- الإسلام والحداثة، ندوة مواقف، دار الساقي، لندن، الطبعة الأولىٰ 1990م.
- إسلامية المعرفة، المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1401هـ 1981م.
- إشكاليات الفكر العربي المعاصر، الدكتور محمد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 1990م.
- إشكالية المصطلح اللغوي، مقالة للدكتور: عبد المجيد الصغير، في مجلة: قضايا إسلامية معاصرة (إشكاليات التأويل)، عدد (19)، 1423هـ 2002م.
- إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلىٰ نظم خطاب الفكر الإسلامي المعاصر، الدكتور طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، الطبعة الثالثة، 1416هـ 1995م.
- إصلاح العقل في الفلسفة العربية، الدكتور أبو يعرب المرزوقي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، نوفمبر 1994م.
- أصول الفقه الإسلامي منهج بحث ومعرفة، د. طه جابر العلواني، نشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1401هـ 1981م.
- أم القرىٰ، مؤتمر النهضة الإسلامية الأول، عبد الرحمٰن الكواكبي، دراسة وتحقيق د. محمد جمال طحان، دار الأوائل، الطبعة الأولىٰ، 2002م.
- الإمامة في الفقه الإسلامي، علي بن هلال العبري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1412هـ 1991م.
- أمريكا - إسرائيل و11 أيلول 2001، تأليف ديفيد ديوك، ترجمة: سعد رستم، دار الأوائل، ط1 - 2002م.
- أوروبا في مطلع العصور الحديثة، الدكتور عبد العزيز محمد الشناوي، دار المعارف بمصر، 1969م.

ـ إيران في ظل الإسلام في العصور السنية والشيعية، الدكتور عبد النعيم حسنين، دار الوفاء ـ القاهرة، الطبعة الأولىٰ 1408هـ 1988م.
ـ أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، الدكتور محمد أركون، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولىٰ 1993م.
ـ بحوث في الملل والنحل، دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية (1 ـ 7)، تأليف جعفر السبحاني، مؤسسة النشر الإسلامي، ومؤسسة الإمام الصادق، إيران ـ قم، 1415هـ ـ 1416هـ.
ـ البداية والنهاية، ابن كثير، طبعة دار المعارف بيروت، الطبعة السادسة، 1405هـ 1985م.
ـ تاريخ الدعوة الإسماعيلية، الدكتور مصطفىٰ غالب، دار الأندلس، الطبعة 3 / 1979م.
ـ تاريخ الفلسفة الإسلامية، الدكتور ماجد فخري، ترجمة الدكتور كمال اليازجي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1974م.
ـ تاريخية الفكر العربي الإسلامي، د. محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1986م.
ـ تجديد التفكير الديني في الإسلام، محمد إقبال، ترجمة عباس محمود، مراجعة: عبد العزيز المراغي ومهدي علام، مطبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.
ـ تجديد المنهج في تقويم التراث، الدكتور طه عبد الرحمٰن، نشر المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولىٰ 1994م.
ـ تراث الإسلام، عدد من المشتشرقين بإدارة توماس أرنولد، ترجمة "لجنة الجامعيين لنشر العلم"، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936م.
ـ تراث الإسلام، تأليف جمهرة من المستشرقين، بإشراف سير توماس أرنولد، عربه وعلق حواشيه، جرجيس فتح الله المحامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1972م.
ـ تراث الإسلام، تصنيف: جوزيف شاخت، وكليفورد بوزث، ترجمة:د.محمد زهير السمهوري ود. حسين مؤنس ود.إحسان صدقي العمد، تعليق وتحقيق: د.شاكر مصطفىٰ، ومراجعة: د.فؤاد زكريا، نشر: سلسلة عالم المعرفة، العدد (233)، الكويت، الطبعة الثالثة، المحرم 1319هـ ـ أيار 1998م.
ـ التراث في ضوء العقل، د. محمد عمارة، دار الوحدة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1980م.
ـ التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الأصالة والمعاصرة)، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.
ـ تراثنا بين ماض وحاضر، الدكتورة عائشة عبد الرحمٰن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1389هـ ـ 1970م.
ـ التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، الدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1991م.
ـ التفكير الفلسفي في الإسلام، الدكتور عبد الحليم محمود، الطبعة الرابعة، نشر وتوزيع مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع.
ـ التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد الملطي، تحقيق محمد زاهد الكوثري، 1388هـ 1968م.

- التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط، مجموعة مشاركين، ندوات (29)، مركز دراسات الشرق الأوسط، الطبعة الأولىٰ، الأردن، 2000م.
- الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية (أوراق في النقد الذاتي)، مجموعة مشاركين، تحرير وتقديم: د.عبد الله النفيسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، 1410هـ ـ 1989م.
- الحريات العامة في الدولة الإسلامية، الشيخ راشد الغنوشي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولىٰ 1993م.
- حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولىٰ، 1423هـ ـ 2003م.
- الحوار الإسلامي المسيحي، المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف، بسام داود عجك، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة 1/ 1418هـ ـ 1998م.
- حوار المشرق والمغرب، د. حسن حنفي ود.محمد عابد الجابري وغيرهما، تقديم جلول فيصل، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، 1990م.
- الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، الدكتور مريزن سعيد مريزن عسيري، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة 1/ 1407هـ 1987م.
- الخلافة والملك، أبو الأعلىٰ المودودي، تعريب أحمد إدريس، دار القلم الكويت، الطبعة الأولىٰ، 1398هـ ـ 1978م.
- دراسات إسلامية، الدكتور حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، 1982م.
- دراسات في التراث الجغرافي العربي، د.صباح محمود محمد، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981م.
- دراسات في تاريخ الفلسفة العربية والإسلامية وآثار رجالها، عبده الشمالي، دار صادر، بيروت، الطبعة 5/ 1399هـ 1979م.
- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، تأليف الدكتور عرفان عبدالحميد، دار البشير ومؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1417هـ 1997م.
- دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي، الدكتور: محمود إسماعيل، سيناء للنشر، الطبعة الأولىٰ، 1994م.
- دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، د.عبد الرحمٰن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، الطبعة الثالثة، 1979م.
- الدول الإسلامية، ستانلي لين بول، مع إضافات بارتولد، وخليل أدهم، نقله من التركية إلىٰ العربية محمد صبحي فرزات، أشرف علىٰ ترجمته وعلق عليه محمد أحمد دهمان.
- الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، الدكتور عصام عبد الرؤوف الفقي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987م.
- الدين والدولة وتطبيق الشريعة، الدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1996م.
- رسائل ابن حزم الأندلسي (1ـ4)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبع 1/ 1983م.
- رفع الملام عن الأئمة الأعلام، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولىٰ 1382هـ.

ـ سد باب الاجتهاد وما ترتب عليه، تأليف عبد الكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ 1984م.
ـ السنة والشيعة، أو الوهابية والرافضة، السيد محمد رشيد رضا، تحقيق الدكتور عبد الرحمٰن بن عبد الجبار الفريواتي، إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ببنارس، الهند، الطبعة 1/ 1408هـ ـ 1988م.
ـ السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، كمال الهلباوي، معهد الدراسات السياسية، إسلام أباد، باكستان، الطبعة الأولىٰ، 1412هـ ـ 2-1992م.
ـ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، لابن تيمية، دار المعرفة، الطبعة الرابعة 1969م.
ـ السياسة والحكم، النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع، الدكتور حسن الترابي، دار الساقي، لندن، الطبعة الأولىٰ، 2003م.
ـ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ ـ 1982م.
ـ السيرة النبوية، ابن هشام، حققها مصطفىٰ السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي.
ـ شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ 1398هـ ـ 1978م.
ـ شرعية الاختلاف بين المسلمين (إسلام واحد وتعددية فقهية وعقدية وسياسية في الاجتهاد والشورىٰ والدولة)، عمران سميح نزال، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق وبيروت، الطبعة الأولىٰ، الطبعة الأولىٰ، 1425هـ ـ 2004م.
ـ شمس العرب تسطع علىٰ الغرب، للمستشرقة الألمانية: زنغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسىٰ الخوري، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1979م.
ـ الشورىٰ في العصر الأموي، الدكتور حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1410هـ ـ 1991م.
ـ الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي، منتدىٰ الفكر العربي، تحرير وتقديم، د. سعد الدين إبراهيم، عمان، الطبعة الأولىٰ، 1988م.
ـ صدام الحضارات (Clash of Civilizations)، صامويل هانتنغتون وغيره، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولىٰ 1995م.
ـ الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر، د.محمد كامل ضاهر، دار البيروني، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1414هـ ـ 1994م.
ـ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمٰن الكواكبي، دراسة وتحقيق الدكتور محمد جمال طحان، دار الأوائل، دمشق، الطبعة الأولىٰ، 2003م.
ـ الطبقات الكبرىٰ، محمد بن سعد (230هـ)، مراجعة سهيل كيالي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1414هـ ـ 1994م.
ـ العروة الوثقىٰ، جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ ـ 1983م.

ـ عشر ثورات في الإسلام، علي حسني الخربوطلي، دار الآداب بيروت.
ـ العقل الأخلاقي العربي، محمد عابد الجابري، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الأولىٰ، 2001م.
ـ العقل السياسي العربي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1990م.
ـ علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره، منهج في تدبر القرآن الكريم، تأليف الدكتور أحمد خالد شكري وعمران سميح نزال، نشر جمعية المحافظة علىٰ القرآن الكريم، الأردن، الطبعة الأولىٰ، 1423هـ ـ 2002م.
ـ العمل الديني وتجديد العقل، الدكتور طه عبد الرحمٰن، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1996م.
ـ عن الشيعة والثورة، الدكتور علي شريعتي، ترجمة الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا، دار الأمين، الطبعة 1 / 1416هـ ـ 1996م.
ـ العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي بين المبدأ والخيار، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ودار الفكر، دمشق، الطبعة الأولىٰ، 1423هـ ـ 2002م.
ـ العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربي، تحقيق الدكتور عمار طالبي، دار الثقافة، الدوحة، الطبعة 1/ 1413هـ ـ 1992م.
ـ العواصم والقواصم، محمد بن إبراهيم الوزير، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1412هـ ـ 1992م.
ـ فجر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، الطبعة الحادية عشرة، 1975م.
ـ الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتىٰ اليوم، الفرد بل، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمٰن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م.
ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن حزم، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، بالقاهرة، ومعه الملل والنحل للشهرستاني، 1384هـ 1964م.
ـ فضل الإسلام علىٰ الحضارة الغربية تأليف: مونتجومري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، دار الشروق القاهرة.
ـ فقه عمر بن الخطاب موازناً بفقه أشهر المجتهدين 1ـ 3، تأليف الدكتور رويعي بن راجح الرحيلي، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، الطبعة الأولىٰ، 1403هـ
ـ فكر ابن خلدون العصبية والدولة، الدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992م.
ـ الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، د.محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1999م.
ـ الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام، الدكتور عبد المجيد الصغير، دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ 1415هـ 1994م.
ـ الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، د.محمد أركون، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1998م.
ـ فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي، الدكتور أحمد محمد جاد عبد الرازق، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، 1416هـ ـ 1995م.

ـ فهم الإنسان " النظرية المعرفية العربية" تأليف عمران سميح نزال، نشر دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع في سورية ولبنان، ودار القراء للنشر في الأردن، الطبعة الثانية 1422هـ ـ 2002م.
ـ في التراث والتجاور، علي أمليل، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1990م.
ـ في الحداثة والخطاب الحداثي، منير شفيق، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1999م.
ـ في شرعية الاختلاف، علي أمليل، نشر المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، الطبعة 1 / 1991م.
ـ قصة الفلسفة، ول ديورانت، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة، 1405هـ ـ 1985م.
ـ قصة محاكم التفتيش في العالم، الدكتور بسام اسخيطة، دار هيا للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولىٰ، 2000م.
ـ قيام الدولة الزيدية في اليمن، د.حسن خضيري أحمد، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، 1996م.
ـ الكامل في التاريخ، محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة 1403هـ ـ 1983م.
ـ كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف؟ الدكتور يوسف عبد الله القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، 1422هـ ـ 2001م.
ـ مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، تأليف محمد بن علي الزحيف، 1 ـ 3، تحقيق عبد السلام الوجيه وخالد قاسم، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الطبعة 1/ 1423هـ ـ 2002م.
ـ ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين، عبد الجليل عيسىٰ، دار البيان، الكويت، 1389هـ ـ 1969م.
ـ الماضي في الحاضر، دراسات في تشكلات ومسالك التجربة الفكرية العربية، الدكتور فهمي جدعان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة العربية الأولىٰ، 1997م.
ـ المجتمع المدني، مقاربات في دور المرأة والشباب، محمد خاتمي، ترجمة سرمد الطائي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1422هـ ـ 2001م.
ـ مجموع رسائل الإمام الهادي: الرسائل الأصولية، منشورات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن، الطبعة الأولىٰ 1421هـ 2001م.
ـ مجموع الفتاوىٰ، أحمد بن تيمية: جمع عبد الرحمن قاسم، مكتبة المعارف الرباط.
ـ مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، الطبعة السادسة، 1407هـ ـ 1987م.
ـ المحنة، الدكتور فهمي جدعان، دار الشروق، الأردن، الطبعة الأولىٰ 1989م.
ـ المدخل العلمي والمعرفي لفهم القرآن الكريم، (نظرات في التجديد المنهجي)، تأليف: عمران سميح نزال، دار القراء للنشر في الأردن، ودار قتيبة في سورية، الطبعة الأولىٰ، 1424هـ ـ 2003م.
ـ المسألة الثقافية، الدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1994م.
ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، للمستشرق، إدوارد فون زامباور، أخرجه الدكتور زكي محمد حسن بك، وحسن أحمد محمود، واشترك في ترجمة بعض فصوله الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف وحافظ أحمد حمدي وأحمد ممدوح حمدي، دار الرائد العربي، بيروت، 1400هـ ـ 1980م.
ـ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1998م.

ـ مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام، الدكتور محمد هلال، دار البشير عمان، الطبعة الأولىٰ، 1413هـ ـ 1992م.
ـ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق، صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة 1423، 2002م.
ـ مفهوم الملك في المغرب، محمد ولد داده، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1977م.
ـ مقاتل الطالبيين، الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت.
ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية 1389هـ 1969م.
ـ المقدمة، ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1419هـ 1998م.
ـ المقدمات التاريخية للعلم الحديث، توماس دولشتاين، ترجمة أحمد حسان عبد الواحد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (296)، 1424هـ ـ 2003م.
ـ من وراء أحداث سبتمبر، تأليف سهيلة زين العابدين حماد، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة ودمشق، ودار الأعلام للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولىٰ، 1424هـ 2003م.
ـ الموافقات، إبراهيم بن موسىٰ الشاطبي، تحقيق مشهور حسن، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، الطبعة الأولىٰ، 1417هـ 1997م.
ـ المؤثرات الثقافية الشرقية علىٰ الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية، تأليف ميخائيل جميعان، فصل المؤثرات الثقافية وتحرير العقل.
ـ موقف الخلفاء العباسيين من أئمة أهل السنة الأربعة ومذاهبهم وأثره في الحياة السياسية في الدولة العباسية، تأليف عبد الحسين علي أحمد، دار قطري بن الفجاءة، قطر.
ـ موسوعة فقه عبد الله بن عباس، بقلم الدكتور محمد رواس قلعه جي، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة.
ـ نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، 1986م.
ـ نزيف الأدمغة، الدكتور عطوف محمود ياسين، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1404هـ ـ 1984م.
ـ نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين منذ إنشائها وحتىٰ قيام دولة إسرائيل، د.محمد عبد الرؤوف قاسم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1982م.
ـ نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، عمر عبيد حسنة، كتاب الأمة، العدد (8)، دولة قطر، الطبعة الأولىٰ، محرم / 1405هـ.
ـ نظرة جديدة إلىٰ التراث، الدكتور محمد عمارة، دار قتيبة، سورية، الطبعة الثانية، 1408هـ ـ 1988م.
ـ نقد الصحوة الدينية، خليل علي حيدر، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولىٰ، 1986م.
ـ نقد العقل العربي، تكوين العقل العربي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الخامسة، بيروت 1991م.
ـ واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، الطبعة الثانية، 1408هـ ـ 1988م.

ـ وحدة الفكرين الديني والفلسفي، أبو يعرب المرزوقي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، محرم 1422هـ ـ نيسان 2001م.

ـ الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين، بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، الدكتور عماد الدين خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1423هـ 2002م.

كتب مطبوعة للمؤلف

ـ فهم الإنسان " النظرية المعرفية العربية"، نشر دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق وبيروت، ودار القراء للنشر في الأردن، الطبعة الثانية، 1422هـ ـ 2002م.

ـ علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره، منهج في تدبر القرآن الكريم، تأليف مشارك مع الدكتور أحمد خالد شكري، نشر جمعية المحافظة علىٰ القرآن الكريم، الأردن، الطبعة الأولىٰ، 1423هـ ـ 2002م.

ـ المدخل العلمي والمعرفي لفهم القرآن الكريم، (نظرات في التجديد المنهجي)، دار القراء للنشر في الأردن، ودار قتيبة في سورية، الطبعة الأولىٰ، 1424هـ ـ 2003م.

ـ شرعية الاختلاف بين المسلمين (إسلام واحد وتعددية فقهية وعقدية وسياسية في الاجتهاد والشورىٰ والدولة)، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق وبيروت، الطبعة الأولىٰ، 1425هـ ـ 2004م.

ـ دور التراث في بناء الحاضر وإبصار المستقبل، بحث فائز في "جائزة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني الوقفية العالمية" للدراسات الشرعية والفكر الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مركز البحوث والدراسات،قطر، مسابقة العام السادس، 1425هـ ـ 2004م، قيد الطباعة.

ـ الوحدة التاريخية للسور القرآنية (التفسير التاريخي لسورة الأحزاب نموذجاً)، دار القراء للنشر، عمان، دار قتيبة، دمشق وبيروت، الطبعة الأولىٰ، 1427هـ ـ 2006م.